عظة للشماس بسام عقيقي

في القدّاس الإلهيّ من أجل الراقدين على رجاء القيامة

كنيسة مار الياس– زوق الخراب

٢٠١٦/٤/٣

المجد لله، دائمًا لله.

المسيح قام، حقًا قام!

إنّ ليتورجيّة نهار الأحد، هي ليتورجية القيامة، ونعيّدها طوال السنّة وليس فقط يوم القيامة المجيدة وفي زمنها المقدَّس. ففي كلّ يوم أحد أحضر فيه إلى الكنيسة لأشارك بالقدّاس، أقول المسيح قام، وأتذكر هذه القيامة وأحتفل بها. إنّ القيامة أمرٌ مهمٌّ جدًّا عند المسيحيّين، ولكنّها أيضًا أمرٌ غامضٌ إذا لا معلومات كافية ووافية عن القيامة، أي عن كيفيّة حصولها. لكن هناك بعض الاختبارات المدّونة في الكتّاب المقدّس، كاختبار النّساء اللّواتي ذهبن إلى القبر لتحنيط جسد يسوع، جسد يسوع الميّت ولكنّهنّ لم يجدنه في القبر؛ كما لدينا أيضًا شهادات الرّسل الّذين ظهر لهم يسوع بعد القيامة وأكل وشرب معهم كأي إنسانٍ كامل: وهذا كلّ ما لدينا في الكتاب المقدّس عن حدث القيامة. وأظنّ أن تلك المعلومات الضئيلة عن القيامة تدفعنا إلى طرح العديد من التساؤلات وقد تدفع البعض إلى عدم تصديق حقيقة حدث القيامة، لأنّهم مثل توما للأسف لم يروا بأعينهم ولم يضعوا أيديهم في جروحات المسيح، جروحات الألم.

في يوبيل الرّحمة، وفي عيد الرّحمة هذه السنة، أتذكّر جملةً واحدةً هي: "يا يسوع أنا أثق بك". ثمرة عيد القيامة هي الثقة ولكن ليست ثقة عمياء. فالمسيحيّون ليسوا بِعميان ولكنّهم يرون القيامة ليس بعين الجسد، إنّما بعين الإيمان، إنّهم يرون القيامة بالبصيرة الداخليّة وليس بالبصر. حين نرى أمرًا معيّنًا بعين الجسد، لا يعود هناك قيمة لإيماننا به إذ إنّ ما نراه نستطيع تصديقه لأنّه أصبح حقيقة. ولكن عندما نصدّق أمرًا معيّنًا لم نره بعين الجسد ولكن نختبره، فهذا يسمّى الإيمان. إنّ توما هو أكبر دليل على هذه الحالة الإنسانيّة الّتي نعيشها إذ إنّ الجميع يمرّ بمرحلةٍ زمنيّة معينّة يشكّ فيها بالله، فنصبح بحاجة إلى أن يُرينا الله أنّه أقام المسيح فعلاً، وأنّ هذه القيامة هي حقيقة كي نصدِّق ونؤمِن. لا شكّ أنّ الإيمان يرتكز على أنّ يسوع هو حقيقةٌ، غير أنّ الله غير مستّعد ليخرق النّظام الّذي وضعه منذ الخلق كلّما أراد الانسان ذلك أو شكّ بحقيقة وجود الله. إنّ الرّبّ قد تجسّد مرّة واحدة في التّاريخ وعاش أمامنا على هذه الأرض ليقول لنا أنّ

حياتنا هي مسيرة حجٍ لما نحن أصلاً فيه. فما تؤكده الكتب المقدَّسة هو أنّنا كنّا في فكر الله قبل أن نوجد على هذه الارض، وعندما خلقنا الله دخلنا في مسيرة حجٍ على هذه الأرض. إنّ الثقة الّتي نتحلّى بها في عيد القيامة هي نفسها تلك التّي نختبرها يوميًّا عندما نستيقظ ونقرِّر مثلاً الذهاب إلى مكان معيّن، كالكنيسة مثلاً، نحن نكون على ثقة أنّنا سنصل إلى المكان المنشود إذ أنّنا نعرف الطريق. لكن عند وجودنا في المنزل لم نكن نرى المكان الّذي نريد الوصول إليه، لكنّنا كنّا على ثقة داخليّة أنّه إذا سلكنا الطريق المعيّن مستعينين بذاكرتنا ومتكِّلين على النّعمة التي نتمتّع بها، سوف نصل إلى المكان المنشود. إنّ حياتنا تشبه هذا المثل، فنحن نسير صوب الملكوت، حتّى وإن لم نره الآن، فنحن لسنا بحاجة إلى أن نرى الملكوت إلاّ في حينه، لكنّنا على ثقة تامّة، أنّنا في كلّ مرّة نسجد ونصلّي، وفي كلّ مرّة نؤمن، ونسلِّم ذواتنا للرّبّ، نحن على ثقة أنّه سيوصلنا إلى الملكوت.

ونحن اليوم، نصلّي مع جماعة "أُذكرني في ملكوتك"، من أجل أمواتنا. نحن لا نصلّي لأمواتنا كي يرحمهم الله، بل نصلّي لهم لأنّهم أصبحوا شفعاء لنا عند الرّبّ إذ أنّهم قد سبقونا وسلكوا مسيرة الحج الطويلة وقد كانوا على ثقة بالرّبّ وايمان به أنّهم سيصلون إلى الملكوت، ولكنهم لم يروا الملكوت إلاّ بعد الموت. وها هم الآن في حضرة الله، يشاهدون الملكوت، ويتّمتعون برؤية وجه يسوع القائم من بين الاموات كما رآه توما وكما رأته المريمات. أمواتنا إذًا هم شفعاؤنا، إنّهم يصلّون لنا لنبقى سائرين على هذه الطريق. صحيح أنّهم ارتكبوا الاخطاء والاساءات في هذه الأرض، لكنّ رحمة الله هي أكبر من الخطيئة. وهناك فرق كبير بين الإساءة والخطيئة، وغالبًا ما نقوم بالخلط بينهما. فهناك فرق بين أن أسيء التّصرف بالقول أو بالنّظر، وبين أن أرتكب خطيئة عن قصدٍ أو غايةٍ بأذية أحدهم. أنا حين أتذّكر الموتى، أتذّكر والدتي، رحمها الله. لا أستطيع إلاّ أن أرى في والدتي وجه الأمومة والحبّ الكبير الّذي أعطتني إيّاه، وما أنا عليه اليوم هو بفضلها. نحن جميعًا لدينا أشخاص نحبّهم قد سبقونا إلى الحياة الثانية، وقد أحزننا غيابهم وقد بكيناهم عندما غادرونا إلى الحياة الأبديّة. أحزننا غيابهم لأنّهم قاموا بكلّ الخير الّذي طلبه الله منهم تجاهنا. إنّ هذا الخير الّذي قدّموه لنا هو من عند الرّبّ. وهم قد قاموا بأعمال خيرٍ معنا كما تصرّف معهم من سبق واهتمّوا بهم وقد سبقوهم اليوم إلى الملكوت، لقد قدّموا لنا الخير الّذي أخذوه عن والديهم.

إخوتي، إنّ أمواتنا هم شفعاءٌ لنا. ونحن لدينا كلّ الثقة بأنّ الرّبّ رحيم، وأنّه لا ينظر إلى خطيئتنا. أمواتنا هم قدوةٌ لنا لنتعلّم منهم الأشياء الصالحة. وكما حصل مع توما الّذي قال أنّه لا يؤمن بيسوع إلى إن رآه بأعينه، نحن لا نستطيع رؤية يسوع إلا في مَن حولنا: نراه من خلال أهلنا ومَن يساعدوننا، ومن يهتمّون بنا. أنعتقد أنّنا سنراه في ظهوره لنا؟! إنّ زمن الظهور المباشر للمسيح انتهى، وإن حصل ذلك مع التّلاميذ فهو من أجل أن يثبّتهم في حقيقة القيامة. أمّا بعد تلك الفترة، فأصبح ظهور المسيح يتمّ من خلال أبناء القيامة، في الرسل أوّلاً ثمّ في الكنيسة، ثمّ في المؤمنين. فعبثًا نبحث عنه في غير تلك الأماكن.

ويبقى أنّ نردّد جملة واحدة علينا أن نتأمّل بها وهي: "يا يسوع، أنا أثق بك". إنّ عالم اليوم يمنعنا من أن نردِّدها ويدعونا للنظر إلى محيطنا وإلى أن نتشبّه بأبناء هذه الأرض. إنّه يدعونا للنظر إلى أبناء الأرض فنحاول التشبه بهم في كيفيّة اهتمامهم فقط بأمور هذه الأرض: إنّهم يبنون القصور، ويشترون أفخم السيّارات، ويسعون إلى امتلاك الثروات الماديّة والأرضيّة فقط، حتّى إن كانوا بغنىً عنها. إنّ الرّبّ يدعونا إلى عدم النظر إلى الظاهر بل إلى الجوهر. علينا أن ننظر إلى يسوع، الّذي كان في أيّامه على الأرض، قادرًا على تخليص نفسه من الصّلب ومن الموت بقدرته الخارقة وبذكائه، ولكنّه استسلم لمشيئة البشر ورضيَ أنّ تؤدي به هذه المشيئة إلى موته على الصّليب. نحن قتلنا يسوع، بسبب محدوديتنا. لذلك عندما أقول الجملة التّاليّة: "يا يسوع أنا أثق بك"، وأردِّدها مرّات عديدة في نهاري، تصبح عادةً ايجابيّة فيّ. في طفولتنا، اختبرنا جميعًا ما يفعله أهلنا، عندما نقول لهم أنّنا جياع، فإنّهم كانوا يطعموننا على الفور. وكذلك، عندما كبرنا، كانت الأمهات يحضِّرن لنا الاكل عند عودتنا من العمل، لأنّهنّ يعرفن حاجاتنا دون أن نطلبها أو نقولها. إن كانت هذه هي الحال مع أهالينا، فكيف هي الحال مع الله الّذي يعرف حاجاتنا كلَّها، وكم بالحريّ يسوع الّذي يعرف حاجتنا إلى أن نثق به أكثر كي يتقوّى إيماننا به، وحاجتنا إلى أن يظهر لنا جروحاته. إنّ الرّبّ يعلم كلّ الأمور، فلنثق إخوتي بالرّبّ أنّه قد قام وأنّه حيّ، وأنّ أمواتنا هم عنده كبقيّة القدّيسين الّذين أعلنوا على المذابح. إنّ أمواتنا هم شفعاؤنا لأنّهم عرفوا كيف يهتّمون بنا وينقلون إلينا الإيمان، والدليل هو حضورنا اليوم في هذه الكنيسة. فإنّ ذلك هو ثمرة تربية أهالينا لنا، فهل هناك أثمن من هذا العمل: أن يفتحوا أمامنا طريق الخلاص ويدلّونا عليها؟! لقد كانوا يصلّون أمامنا ويذهبون أمامنا إلى الكنيسة على الرغم من الفتور الّذي عاشوه، ولكن هل هناك أثمن من هكذا عمل قاموا به في حياتهم؟! من منّا لم يمرّ بفترة فتور وابتعد في اثنائها عن الكنيسة ولكنّنا بفضل أهالينا كنّا نعود إلى الكنيسة، وهذا عمل عظيم.

إنّ هؤلاء المؤمنين الّذين نذكرهم اليوم في "أُذكرني في ملكوتك"، دلوّنا على الطريق، وهذا ما يشفع بهم عند الله فيرحمهم من أجل ذلك. كما نطلب من الله رحمته وأن يقوّي إيماننا في كلّ أزمة وصعوبة نمرّ بها. إنّ العالم يخلق لنا الأزمات، ومَن هم حولنا يفكِّرون في ذواتهم. أمّا الله فيفكِّر فينا وبحياتنا وكيف نستطيع أن نكون على مثاله قدّيسين. آمين.

ملاحظة: دُوّنت العظة من قبلنا بتصرّف.